

مشاهد موسيقية من (تل أبو عنتيك)

(مدينة بيكاسي القديمة)

ربيع محمود سامي القيسي

القروية ثم أسس المدن، ترك لنا نقوشاً وصوراً موسيقية عبر من خلالها عن تطلعاته الحضارية. والبعض من تلك المشاهد تشير إلى صلتها بأفكاره الدينية وتقديم فروض الطاعة والولاء للآلهة التي يعبدها، وبعضها الآخر لها علاقة بأعمال القنص والصيد، ومنها ما يشير إلى التأثير الكبير في تشجيع المقاتلين أثناء الحروب وحثهم على تحقيق النصر وفرار العدو إلى غير ذلك من الوظائف.

من المؤكد أن الوسائل والآلات التي ابتكرها الإنسان في بادئ الأمر على الرغم من بساطتها إلا أنها كانت تؤدي إلى النتائج المطلوبة. وبمرور الوقت واتساع المجتمعات برزت أهمية الموسيقى في الحياة الدينية والثقافية للشعوب، مما حدى بالإنسان القديم إلى تطوير الآلات الموسيقية فجعل منها الآلات الوترية مثل الجناك والكنارة والعود، أو آلات القرع والإيقاع كالطبل والدف والمضارب الرنانة والصلاصل والصنج أو الآلات الهوائية كالمزمار والقرن وغيرها. وكل ما ذكرناه له دلالات واضحة تؤكد على استخدامها في العراق منذ أقدم العصور وذلك من خلال الألواح أو من طبعات الأختام المكتشفة.^(٣)

الألواح

خلال الموسمين الثالث والرابع من أعمال التنقيب التي أجرتها البعثة في تل أبو عنتيك ظهرت مجاميع من الألواح الفخارية التي تحمل مشاهد آدمية مختلفة، من بينها كانت الألواح موضوع البحث، ندرج تفاصيل كل

بعد ضلوع محافظة النجف بتجفيف مياه هور (ابن نجم) بالأتربة لاستخلاص أراضي زراعية وشق المبازل لتصريف المياه الضارة، ظهر تل أثرى في بقعة تتحاذر فيها محافظات النجف وبابل والقادسية، أطلق عليه المحليون تسمية أبو عنتيك نسبة إلى ما ظهر فيه من مواد أثرية قديمة بفعل التجاوزات.

الثل بيضوي الشكل تقريبا ويقع على بعد (٣٠) كم شمال شرق مدينة الكوفة و(٥٠) كم جنوب مدينة بابل. لم يعلن عن أثرية التل بسبب انغماره بمياه الهور وتبين انه يخترقه مزلان للمياه أحدهما قد حفر عام ١٩٥٤ والآخر عام ١٩٩٤. ونتيجة العبث الذي تعرض له الموقع أوفدت الهيئة العامة للآثار والتراث بعثة فنية منذ أواخر عام ١٩٩٩ للعمل فيه.

وبالاستناد إلى ما عثر فيه خلال أعمال التنقيب من معالم عمارية ونصوص كتابية وآثار متنوعة فقد حددت البعثة تاريخ الموقع بالعهد البابلي القديم واعتبرته أحد المراكز الإدارية المهمة في ذلك العهد واستطاعت كشف اسمه القديم الذي تردد في النصوص المسمارية المكتشفة والذي هو (بيكاسي pi-ka-si).^(١) وقد عثرت البعثة على مجاميع مختلفة من الألواح الطينية المفخورة بعضها يمثل مشاهد موسيقية ستكون موضوع بحثنا هذا.^(٢)

منذ الأزل عبر الإنسان بشتى الوسائل عن غرائزه وأفكاره التي تختلج في نفسه. فمنذ أن أوى الكهوف واستوطن السهول والواحات، ومنذ ان سكن المجتمعات

الحاضر عند العزف على آلة الزنبور والتي هي بمثابة جرة ضيقة وطويلة نسبياً أغلقت إحدى فتحاتها بمادة الجلد وعند الطرق عليها تصدر أصواتاً جميلة.

الصورة رقم ٣

رقم سجل الحفريات: ٢٩٥٧

رقم المتحف العراقي: ١٩٠٥٣٩

المعثر: المربع: ٥,٢١ مقارب المبزل القوسي

الارتفاع ٦,٥ سم، العرض ٣,١ سم، السمك ٢,٤ سم

دمية آدمية جزءها الأسفل مفقود تمثل امرأة عارية تعزف بكلتا يديها على آلة موسيقية تمثل القيثارة وتحملها طولياً على كتفها الأيسر. شعر المرأة مصفوف بشكل ضفائر تتوضح في الجانب الأيمن لرقبتها. واغلب الظن هناك ما يشبه القلادة تحيط بأسفل العنق.

الصورة رقم ٤

رقم سجل الحفريات: ٢٩٥٨

رقم المتحف العراقي: ١٩٠٥٤٠

المعثر: المربع: ١٩,٥ مقارب المبزل القوسي

الارتفاع ٨,٤ سم، العرض ٤,٥ سم، السمك ٢,١ سم

دمية لامرأة واقفة تعزف بكلتا يديها على آلة العود الصغير. ترتدي ملابس شفافة مع عباءة، وتحيط بالرأس عصابة تتدلى منها ضفيرتان على الجانبين.

الصورة رقم ٥

رقم سجل الحفريات: ٢٩٥٩

رقم المتحف العراقي: ١٩٠٥٢١

المعثر: المربع: ٥,٢٠ غرفة ٩٨ الطبقة الثانية الأرضية الأولى.

الطول ٨ سم، العرض ٣,٥ سم، السمك ٢,٢ سم

دمية رجل عاري الجسم على رأسه ما يشبه الخوذة

منها تباعاً مع العلم بان جميعها من الطين المفخور ومصنوعة بالقالب:

الصورة رقم ١

رقم سجل الحفريات: ٢١٥١

رقم المتحف العراقي: ١٧٩٥٩٠

المعثر: غرفة ٦١ الطبقة الثانية الأرضية الأولى

القياسات: الارتفاع الباقي ٥,٣ سم العرض: ٤ سم،

السمك: ٢ سم

دمية آدمية جزءها الأسفل مفقود تمثل شخصاً يحمل بكلتا يديه آلة موسيقية تمثل العود الصغير (بزغ) ويظهر وهو يعزف باليد اليمنى، بينما تمسك اليد اليسرى أقصى الطرف الطويل من الآلة.

الصورة رقم ٢

رقم سجل الحفريات ٢٩٣٩

رقم المتحف العراقي: ١٩٠٥٢٥

المعثر: غرفة ١٠٦ الطبقة الثانية الأرضية الأولى

الطول: ١٠,٣ سم، العرض ١٢ سم، السمك ١,٤ سم

لوحة بالنحت البارز يمثل شخصين متواجهين يرتديان ملابس قصيرة بهيئة الوزرة وتغطي رأسيهما عمامة بهيئة الجراوية. ويظهر الشخص في الجانب الأيسر من اللوح وهو يحمل آلة القيثارة الشبيهة بالآلة السنطور، وذلك بواسطة شريط عريض يتدلى من أعلى الصدر مع مسند طويل ترتكز عليه الآلة في الأمام. أما الشخص المقابل في الجانب الأيمن من اللوح فيحمل على جنبه آلة الزنبور الإيقاعية المربوطة بواسطة شريط حول الجزء الأعلى من صدره. وتلاحظ يده اليمنى موضوعة على الفخذ الأيمن المقوس قليلاً بسبب اتكاء الرجل اليمنى على دكة صغيرة. أن هذا المشهد مستخدم حتى في الوقت

ويحمل بكلتا يديه آلة القيثارة التي تمتد لأعلى الكتف الأيسر. الأرجل ظهرت مقوسة ربما كان ذلك نتيجة تأثير الرجل بالعزف، والأقدام مفقودة.

الصورة رقم ٦

رقم سجل الحفريات: ٢٩٦٦

رقم المتحف العراقي: ١٩٠٥٤٦

المعثر: المربع: ٥,٢, غرفة ٩٩ الطبقة الثانية الأرضية الأولى

الطول: ٥,٩ سم، العرض ٦,٢ سم، السمك: ١,٩ سم

دمية جزئها الأسفل مفقود، تمثل امرأة تحمل بيدها

اليسرى آلة الدف وتطرق عليه باليد اليمنى، وترتدي

عباءة وقد صفت شعرها بشكل دقيق تتدلى منه ضفيرتان.

حول العنق قلادة تتدلى على أعلى الصدر وتنتهي بحلقة

كبيرة نسبياً مع خرزة في أسفلها.

الصورة رقم ٧

رقم سجل الحفريات: ٣٢٢٧

رقم المتحف العراقي: ١٩٣١٥٣

المعثر: المربع: ٥,٢, غرفة ١٠١ الطبقة الأولى

الارتفاع ٧,٨ سم، العرض ٣ سم، السمك ٢ سم

دمية رجل عاري الجسم، تشبه الدمية المذكورة تحت

التسلسل (٥). يغطي الرأس ما يشبه الخوذة، وتظهر

الأرجل مقوسة ربما كان ذلك نتيجة التأثر والانفعال

والشد على أوتار القيثارة التي يحملها الرجل على كتفه

الأيسر. الآلة التي تظهر في هذه الدمية تتشابه كثيراً مع

ما جاء في دمية الرجل ضمن التسلسل (٥) ودمية المرأة

ضمن التسلسل (٣). فقد أراد الفنان محاولة إظهار آلة

القيثارة من واجهتها الأمامية فنحت خطوط بارزة تمثل

أوتار الآلة للدلالة عليها.

الصورة رقم ٨

رقم سجل الحفريات: ٣٤٥٣

رقم المتحف العراقي: ١٩٦٨٤٢

المعثر: المربع: ١٧, ٥, غرفة ١٢٥ الطبقة الثانية

الأرضية الأولى

الارتفاع ٧ سم، العرض ٧,٥ سم، السمك، ١,٤ سم.

لوح جزءه الأسفل مفقود يمثل مشهداً موسيقياً

وبالنحت البارز لامرأة عارية، تعزف على قيثارة وقد

صفت شعرها بهيئة حلقات معقوفة خلف الرأس، وأمامها

شخص على رأسه ما يشبه الخوذة يمسك بيده اليمنى

بالدف ويطرق عليه باليد اليسرى.

الصورة رقم ٩

رقم سجل الحفريات: ٣٤٦٤

رقم المتحف العراقي: ١٩٦٨٥١

المعثر: المربع: ١٨, ٥, الغرفة ١٢٨ الطبقة الأولى

الطول ١٢,٧ سم، العرض ٧,٢ سم، السمك ٥,٢ سم.

الجسم يعزف بيده اليمنى على آلة العود الصغير،

وأطراف اليد اليسرى تمسك بأقصى الجزء الطويل للآلة.

الصورة رقم ١٠

رقم سجل الحفريات: ٣٤٦٦

رقم المتحف العراقي: ١٩٦٨٥٣

المعثر: المربع: ٢١/p, غرفة ١٣٣ الطبقة الأولى

الارتفاع ٨,٢ سم، العرض ٤,٥ سم، السمك ٢,٨ سم.

دمية مفقودة الرأس لشخص عاري الجسم ينتجها

تماماً القالب المذكور ضمن التسلسل (٩). ويظهر

الشخص عازفاً على آلة العود باليد اليمنى وماسكاً باليد

اليسرى أقصى الآلة. الأرجل مقوسة وتتكئ على قاعدة.

واغلب الظن أن الفنان صور هذه الحالة بوضعية

الجلوس وإظهار انسجام العازف مع آله.

الخاتمة

المناسبات الفردية وغيرها.^(٤) وكان العراق مركزاً رئيسياً ومهماً من مراكز الموسيقى في العالم القديم وان الكثير من الآلات الموسيقية قد ظهر لأول مرة بالتاريخ في العراق قبل غيره من أقطار العالم القديم، وكان العراق المركز الرئيسي الذي انتقلت منه الآلات الموسيقية مثل العود والكنارة والهارب، وبعض آلات الإيقاع إلى مصر وغيرها من الأقطار. كما اقتبست أوربا من الشرق الكثير من الآلات الموسيقية مع أسمائها العربية.^(٥)

بالاستناد إلى المشاهد الأثرية والنصوص المسمارية يمكن القول بأن الموسيقى قد استخدمت بالدرجة الأولى في المناسبات الدينية المختلفة مثل احتفالات عيد رأس السنة والأعياد الأخرى، وفي الوفاة ودفن الموتى وفي ولائم الشراب وبناء المعابد وتجديدها، وفي الدعاء والمديح للآلهة والملوك والثناء عليهم وغير ذلك من المناسبات. كما استخدمت الموسيقى في الحروب وفي احتفالات النصر على الأعداء وتقديم القرابين بعد الانتهاء من صيد الأسود، وفي جميع



الهوامش

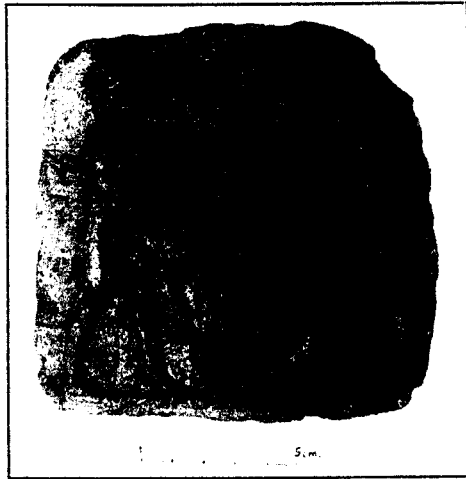
- وشاكر عبد الزهرة وباسم كاظم وعلي عبيد وهادي عبد الحسين.
٣. لزيادة الفائدة يراجع كتاب (تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم) للدكتور صبحي أنور رشيد - طبعة أولى - بيروت ١٩٧٠.
٤. رشيد، المصدر نفسه، ١٩٧٠ ص ٢٧٠.
٥. رشيد: الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، ١٩٧٥ ص ٣٣١.

١. انظر: محمد، احمد كامل: "ملاحظات عامة على النصوص المسمارية من تل أبو عنتيك"، مجلة سومر - مجلد ٥٠، (١٩٩٩-٢٠٠٠).
٢. أقدم خالص الشكر والتقدير إلى البعثة الفنية التي سهلت لي دراسة الألواح وهم السادة وهبي عبد الرزاق/ رئيس البعثة والدكتور احمد كامل محمد

المصادر

- العصور الإسلامية - منشورات وزارة الإعلام ١٩٧٥.
محمد، احمد كامل: مجلة سومر - المجلد ٥٠، (١٩٩٩-٢٠٠٠)
ملاحظات عامة على النصوص المسمارية من تل أبو عنتيك.

- ١- رشيد، صبحي أنور: تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، طبعة أولى - بيروت ١٩٧٠.
٢- رشيد، صبحي أنور: الآلات الموسيقية في



(صورة - ٢)



(صورة - ١)



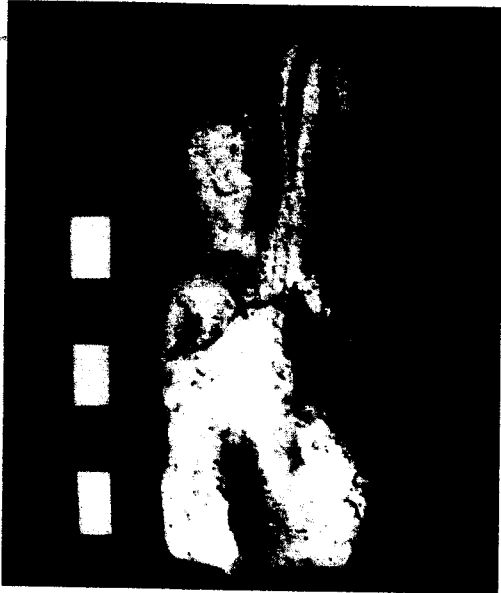
(صورة - ٣)



(صورة - ٥)



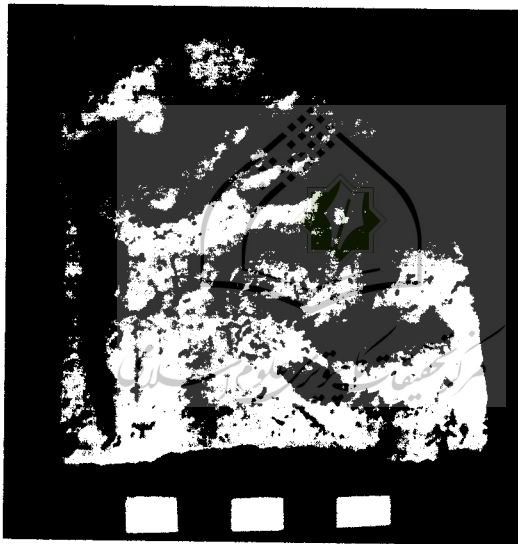
(صورة - ٤)



(صورة -٧)



(صورة -٦)



(صورة -٨)



(صورة -٩)

(صورة -١٠)

